المحاضرة الأولى : الفضيل الورتلاني

تمهيد :

عزيزي الطالب بعد تناولنا في مقرر الفكر الجزائري في العصر الحديث لشخصية ابن باديس والإبراهيمي . سنتناول في هذه المحاضرة – كمت هومقرر – شخصية الفضيل الورتلاني . ولم أجد- من الكتب- أحسن من يتحدث عن تاريخ هذه الشخصية الإسلامية والوطنية من كتاب بعنوان : " العالم المجاهد الجزائري والداعية الإسلامي الكبير : الفضيل حسنين الورتلاني من مقدمة كتاب: الجزائر الثائرة.للفضيل الورتلاني ، نصوص من أثاره وشهادات العرفين بجهاده " وقد عمل على جمع وتنسيق فصول هذا الكتاب كل من : أ.د. محمد العيد تاورته ونجل الورتلاني : أ.مسعود حسنين الورتلاني.

حول الكتاب : طبع سنة 2011 ، نشر دار ألكسندر للطباعة والنشر والتوزيع ، قسنطينة ، الجزائر.

أولا : نسبه وولادته ونشأته وتعليمه :

ولد الأستاذ الجليل المرحوم السيد / حسين الفضيل بن محمد السعيد بن فضيل المعروف باسم (الشيخ الفضيل الورتلاني) في 6 فبراير عام 1900 بقرية (آنو) بلدية بني ورتلان دائرة بني ورتلان ولاية سطيف، وينحدر من أسرة عريقة ينتمي إلى سلالة الأشراف ولقبه العائلي (حسنسن)، وقد نشأ وترعرع في مسقط رأسه وبه حفظ القرآن الكريم، وزاول دراسته الإبتدائية بالقرية المذكورة، وتلقى فيها مبادئ العلوم على مشائخ القرية نذكر منهم على سبيل المثال العلامة الفقيه المعروف الشيخ السعيد البهلولي وغيره، كما تلقى منذ طفولته المبكرة في أحضان أسرته تربية إسلامية أورثته الحفاظ على تعاليم الدين الحنيف والتشبت بأهدافه، ونشأ على احترام كرم الأخلاق والمثل العليا، والقيم الرفيعة، وجده الأعلى (جد والده) المباشر لأبيه هو العلامة الرحالة سيدي الحسين الورتلاني صاحب الرحلة المعروفة باسم (رحلة الورتلاني).

ثانيا :إلتحاقه بالشيخ عبد الحميد بن باديس ونشاطه داخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

في سنة 1928 م انتقل إلى مدينة قسنطينة لمزاولة تعليمه الثانوي على يد الإمام عبد الحميد بن باديس، وبعد تخرجه مباشرة تولى التدريس بالجمعية الخيرية التي كانت نواة التربية والتعليم، وقد تخرج على يده عدد كبير من الطلبة لا يزالون يذكرون ما له عليهم من فضل وإحسان واعتراف له بالفضل والجميل، وقد بعث في تلاميذه روحا وثابة، وأحدث تطورا فكريا لدى طلابه، ونال بذلك رضا أستاذه بن باديس، لما بذله من جهود معتبرة في خدمة العلم وما يمتاز به من حيوية ونشاط منقطع النظير، بحيث أعجب به الشيخ بن باديس وأخذ يصطحبه معه أينما ذهب وأينما حل وارتحل، خاصة في الجولات التفقدية التي كان يقوم بها بين الفينة والأخرى عبر البلاد، وهكذا لازم الفضيل الورتلاني أستاذه بن باديس عدة سنوات كلها عامرة بالعلم والعمل المثمر البناء، وتأثر بمنازعه الخطابية ومواقفه الوطنية، وسقيت ملكته بغيث ذلك البيان الإلهامي فأصبح فارس منابر، وحضر اجتماعات جمعية العلماء العامة والخاصة، فاكتسب منها الصراحة في الرأي، والجرأة في النقد البناء والاحترام للمبادئ لا للأشخاص، كل هذه الخصال الممتازة في شخص الورتلاني هي التي جعلته يكون محبوبا وأشد ارتباطا بأستاذه بن باديس ويوليه عنايته ويعتمده في المهام الكثيرة.فلا غرو فقد كان يستخلفه أستاذه فى كثير من الاجتماعات والمناسبات وممثلا له في نفس الوقت وهو ما يزال طالبا، وتشتد الحرب المذهبية والصراعات القائمة على أشدها بين أنصار الحركة الإصلاحية من جهة وبين أنصار الطرقية من جهة أخرى فيلعب الفضيل فيها أدوارا إيجابية ذات أثر فعال في ترجيح ميزان القوة لجانب الحركة الإصلاحية على اختلاف أهدافها وتعدد مجالاتها، وبعد هذه الحماسة من حياته وهو ما يزال مواظبا على دروس أستاذه، تناط به مهمة تتلاءم مع طبيعته في حب الإتصال بالجماهير الشعبية وتنسجم مع ميوله نحو الدعوة والتبليغ والتبشير بالمبادئ التي يؤمن بها ويقتنع بصحتها وصدقها، لهذا وجد ضالته في مهمة تمثيل مجلة (الشهاب) التي كانت تصدر في ذلك العهد بمدينة قسنطينة، وقد كان ينشر فيها العديد من البحوث والمقالات القيمة التي يعالج فيها قضايا اجتماعية وثقافية وسياسية، وطاف أطراف البلاد متنقلا باسمها وتكثير أنصارها وتوضيح خطتها وغايتها .. وقد قام بهذه المهمة سنة 1932 م.وفي نفس السنة قام بعدة جولات عبر كامل القطر الجزائري مدنه وقراه مغتنما هذه الفرصة فدعا من الطلبة المتعطشين للعلم والمعرفة للالتحاق بالدروس العلمية بجامع سيدي الأخضر بقسنطينة، وقد لقيت دعوته تلك استجابة واسعة وأقبل الطلبة أفواجا أفواجا يتوافدون إلى جامع سيدي الأخضر من كل حدب وصوب ومن كل فج عميق.هذا بالإضافة إلى تعريفه وشرحه لمبادئ جمعية العلماء التي كانت آنذاك حديثة العهد بالوجود، والتي لاقت من خصوم العلم وأعداء الوطن معارضة شديدة.

**المحاضرة الثانية : تابع – الفضيل الورتلاني :**

ثالثا :هجرته الى فرنسا :

وفي سنة 1936 م، انتدبته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للقيام بنشر مبادئها والدعوة الإصلاحية بفرنسا وذلك قصد توعية العمال الجزائريين المغتربين بأوروبا بحيث تمكن في ظرف سنتين ونيف من إحداث ما يزيد عن عدة مراكز للدعوة الإسلامية والربط بين الجاليات العربية الإسلامية من جهة، وإسماع صوت الجزائر العربية المسلمة للعالمين الشرقي الإسلامي والغربي الأوروبي من جهة أخرى.

رابعا : هجرته الى مصر ، دراسته ونشاطه الإصلاحي فيها :

وبعد أربع سنوات من العمل الدؤوب في فرنسا.وفي أواخر سنة 1940 م، أصبح الفضيل الورتلاني على يقين من أن السلطات الاستعمارية الفرنسية صممت على جعل حد لنشاطه السياسي وتقبه واعتقاله وقد لاحت في الأفق السياسي الغربي بوادر حرب عالمية ثانية فهاجر الى مصر حيث تابع فيها دراسته العليا إلى أن نال الشهادة العالمية بكلية أصول الدين والشريعة الإسلامية

وفي سنة 1949 م، أسس مكتبا بالقاهرة يحمل اسم (مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) الذي كان ممثلا له، وقد قام بعدة اتصالات لدى كثير من الدول العربية الشقيقة وإقناعها بضرورة فتح بلدانها للبعثاث الطلابية الجزائرية. وقد تحقق ذلك بنجاح كبير.كما انخرط في كثير من المنظمات الإسلامية التي كان هو على صلة بها في تلك الفترة بالذات، وكتب في أغلب صحفها. مثل "الإخوان المسلمين" و"الشبان المسلمين" و"جمعية عباد الرحمن" ببيروت التي قامت بجمع آثاره العلمية وطبعها في كتاب أطلق عليه اسم: ـ[الجزائر الثائرة]ـ طبع هذا الكتاب سنة 1956 م. على نفقتهم الخاصة، وأعيد طبعه سنة 1963 م، كما ساهم في تأسيس بعض الهيئات والمنظمات السياسية مثل:1 - اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر التي أسست بالقاهرة سنة 1942 م.2 - جمعية الجالية الجزائرية التي أسست أيضا في نفس التاريخ تقريبا.3 - جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا أسست بمصر سنة 1944 م.4 - جبهة تحرير الجزائر التي تم إنشاؤها بلبنان في فاتح نوفمبر سنة 1954 موقد كانت له صلات قوية ووثيقة بكثير من أعلام الإصلاح الإسلامي في المشرق العربي مثل المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا - رحمه الله – الذي كان يستخلفه في محاضراته الإرشادية الأسبوعية، ، وأمير البيان شكيب أرسلان، ومحي الدين الخطيب، ورشيد رضا، وجمال عبد الناصر، ومحمد مصدق، وعميد الأدب العربي طه حسين والعقاد

خامسا : مساهمته في الثورة التحريرية:

ما كادت ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 م تبرز للوجود في الجزائر حتى ارتفعت أصوات الجزائريين الأحرار في كل أنحاء الدنيا، وكان في مقدمتهم الشيخ الفضيل الورتلاني حيث سارع إلى توجيه نداءات إلى جميع الأحرار في العالم العربي الإسلامي ومنددا في نفس الوقت بأبشع الجرائم الوحشية التي يرتكبها الغلاة الاستعماريين في الجزائر، وقد كان على صلة بكبار قادة جبهة التحرير الوطني مجددين العهد على درب مسيرة النضال حتى النصر.مجندا قلمه ولسانه المتين لإذاعة كل ما يجري من أحداث ضخام بأرض الوطن .

سادسا : مرضه ووفاته :

وقد أصيب في أيام حياته الأخيرة بمرض عضال أخذ يستأثر بجهده الوهي وهو لا يأبه بذلك ولا يسمع إلى أقوال الأطباء إلا قليلا ولطالما وصفوا له الدواء فإذا بالأيام تمر تباعا، والدواء عند رأسه باقيا على حاله، وعندما تدهورت صحته واشتد به المرض نصحه بعض الأصدقاء بالسفر إلى تركيا للعلاج هناك بإحدى المستشفيات فسافر إليها في آواخر سنة 1958م. لم تمض على إقامته بالمستشفى المذكور سوى بضعة أيام حيث أجريت له عملية جراحية لم تنجح فكانت خاتمة لحياته ووافته المنية في الثاني عشر من شهر مارس 1959م ودفن بتركيا، ثم أعيد رفاته إلى أرض الوطن في 12 مارس 1987م ودفن بمسقط رأسه ببني ورتلان ولاية سطيف.

ونختم حديثنا عن الورتلاني بذكر نموذج من كتاباته واخترنا مقالا من كتابه الجزائر الثائرة

بعنوان : " التعاون مقدس والتعارف أقدس "

﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الحجرات 13.

هذا كلام عربي مبين ، ومع ذلك فإنا نجد العرب والمسلمين في هذه الأيام أزهد خلق الله في التعارف، وأزهد ما يكونون مع إخوانهم في الجنس والدين واللغة والمصلحة ،وقد يكون لهم عذر أو أعذار، ولكن ذلك غير مبرر ولا يقلل من أثر الواقع المرالذي باعد بين عقولهم وأفكارهم ، وبين قلوبهم وإحساساتهم حتى كثرت أممهم وهم أمة واحدة وحتى تعددت دولهم وهم يخافون من دولة مزعومة وذلك في نظري لسبب أساسي واحد ، لأنهم فقدوا المصلحين الأكفاء دراية وإخلاصا ، الذين يعرفون كيف يأتون البيوت من أبوابها ، ويدرون من أين تؤكل الكتف ، ويعرفون بالتالي كيف يجعلون همهم الأوزل والأكبر في حشد كل الإمكانات وكل الوسائل الصالحة لخلق الأمة العربية الواحدة ذات عقلية واحدة أو متقاربة ، وكل ذلك بلا ريب لاسبيل إليه البتة إلا من طريق واحد اسمه " التعارف " ، التعارف في أوسع معانيه وأسماها وأعمقها ، التعارف بين العقول والتعارف بين القلوب والتعارف بين الأفراد والجماعات ، والتعارف بين جميع الفئات من تجار ، وزراع ، وتجار ، وكتاب ، وساسة ، وحكام ، وهلم جرا ...حتى تتعانق المصالح بين الجميع نتيجدة التعارف والإختلاط فتكون هي الضمانة الطبيعية الكبرى لتكريس التعاون واستمراره ، ويومئذ نستطيع أن نقول لإسرائيل أنت دولة مزعومة .ولإنكلترا أنت خبيثة غدارة ، ولفرنسا أنت مجرمة عاتية .ثم نقول للجميع أخرجوا كلكم من أوطاننا وارفعوا أيديكم عن كل حقوقنا ومصالحنا ، وإن أبيتم فإن الجواب ما سترون بأم أعينكم ، لا ما تقرأون في احتجاجات شديدة اللهجة ....[[1]](#footnote-1)

.................................................

المحاضرة الثالثة : مولود قاسم

تمهيد :

مولود قاسم نايت قاسم من خيرة ما أنجبت الجزائر، من العلماء والمفكرين والمثقفين العظماء ولا يمكن لأي جاحد أن ينكر ذلك، دافع عن اللغة العربية بإستماتة وكان حريصا على أن تسترجع هذه اللغة مكانتها ومركزها، كما ترك رصيدا علميا ومعرفيا كبيرا حول وجود الأمة الجزائرية، لكنه للأسف همّش إعلاميا.

وسنتعرض في هذه الحاضرة الى هذه الشخصية المتميزة والعامرة بالوطنية والفكر الأصيل والمتفتح.

* أولا : ولادته ونشأته

ولد مولود قاسم في 6 يناير 1927 بقرية بلعيان من بلدية أقبو، بجاية، بدأ مشواره الدراسي من مسجد قريته، بلعيال بايت عباس، التابعة إداريا لبلدية إقبو، ثم واصل مشواره الدراسي في زاوية سيدي يحي العيدلي ثم في تونس، حيث التحق بجامعة الزيتونة سنة 1946بدأ مشواره الدراسي من مسجد قريته، بلعيان بآيت عباس، التابعة إداريا لبلدية آقبو، ثم واصل مشواره الدراسي في زاوية سيدي يحيى العيدليقال عنه المفكر الجزائري الشيخ “محمد الطاهر علجت”، الذي كان صديقا لوالده، أنه كان تلميذا نجيبا في صغره، وقد برز نبوغه عندما كان يدرس القرآن والحديث في مسجد القرية، وقال إن الله استجاب لدعوة والده الذي دعا له أن يصبح فقيها في الدين. كما قال عنه بأنه “حيّر فرنسا وهو في السادسة عشرة من عمره”. فقد رفض أداء الخدمة الوطنية في صفوف الجيش الفرنسي أثناء الاستعمار، وقرر حينها الاعتكاف في الزاوية الدينية والاشتغال بتعلّم الفقة وعلوم الدين وحفظ القرآن الكريم والتفاسير.

ثانيا : هجرته في سبيل طلب العلم:

ثم قرر الهجرة على الأقدام الى تونس ، حيث التحق بجامعة الزيتونة سنة 1946.

وفي تلك السنة التحق بحزب الشعب ثم في 1947 وبعد أربع سنوات، التحق بالقاهرة تكريما له باعتباره الأول على دفعته ، ثم في 1954 التحق بجامعة باريس وسجل للدكتوراه حول بحث اسمه «الحرية عند المعتزلة»، ولكن في سنة 1956 تخلى عن المشروع استجابة لنداء الإضراب الذي دعا إليه اتحاد الطلبة المسلمين، ثم اضطرته مضايقات الشرطة الفرنسية إلى مغادرة التراب الفرنسي وتوجه إلى تشكسلوفاكيا، حيث سجّل مرة أخرى بحثا للدكتوراه حول «الحرية عند كانط»، لكن الوطن ناداه مرة أخرى فأسرع للتلبية وترك بحثه واتجه إلى ألمانيا. ثم طلبه سعد دحلب أثناء مفاوضات إيفيان، وكلفه بإعداد رد على المفاوض الفرنسي جوكس الذي كان يصرّ على أن الصحراء لا علاقة لها بالجزائر. خلال الثورة التحريرية ضحى مولود قاسم بطموح شخصي جامح تمثل في الحصول على الدكتوراه التي طرق أبوابها أكثر من مرة، لكن هجرته إلى ألمانيا حرمته نهائيا من هذا الهدف. وبعد الاستقلال، عاد سي مولود إلى أرض الوطن وجلب إلى بيته في العاصمة 8 أبناء لأخيه ليمكثوا معه في البيت

ثالثا : جهوده في نشر العلم والعربية في الجزائر المستقلة :

ثم بعد الاستقلال شغل مولود قاسم عدة مناصب، منها منصب مدير في وزارة الخارجية ثم وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية ومستشارا لرئيس الجمهورية، ثم أصبح مسؤولا في حزب جبهة التحرير الوطني مكلفا بتعميم استعمال اللغة الوطنية ومسؤولا عن المجلس الأعلى للغة العربية. عندما نالت الجزائر استقلالها تبين أن البلاد كانت بحاجة إلى وقفة رجل شجاع للنهوض باللغة العربية بعد 132 سنة من الاستعمار واستكمالا لجهود الشيخين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، اللذين أسسا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مطلع ثلاثينيات القرن الماضي بجهود متواضعة، لم تستطع وقف المدّ الكبير للغة الفرنسية في الجزائر، وكان مولود قاسم يتحدى الفرنكوفونيين ويقول لهم: “إن اللغة العربية كانت لغة العالم في يوم من الأيام، وإنها كانت تقود العقول وتطور العلوم “.

كان من أهم الأمور التي انشغل بها مولود قاسم، والتي تركت أثرا كبيرا في مسيرته لخدمة الإسلام اللغة العربية، هي رعايته عندما كان وزيرا للشئون الدينية لسلسة من المؤتمرات الفكرية في سبعينيات القرن الماضي أطلق عليها “ملتقى الفكر الإسلامي”، حيث كان دارسا للفقه والفكر الإسلامي، وقد لقيت مبادرة ملتقيات الفكر الإسلاميّ استحسان الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عندما كان يرأس جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بمدينة قسنطينة .

وعند توليه الإشراف على ملتقيات الفكر الإسلامي العالمية، استورد المراجع والكتب العلمية من سوريا والعراق لتعريب الجامعة الجزائرية،

رابعا : مساهمته في إلياذة الجزائر

ساهم كذلك مع الشاعر مفدي زكريا (1908-1977) والمؤرخ التونسي عثمان الكعاك (1903-1976) في صياغة إلياذة الجزائر بتوجيهاته في مجال التاريخ. وقد حرص مولود قاسم على أن تشمل تاريخ الجزائر الشامل من أقدم عصورها إلى الفترة المعاصرة مركزا على جوانبها الحضارية وذلك من أجل "استعادة جميع ثرواتنا، ومقومات شخصيتنا وحصانتنا، وبناء مجد جديد لأمتنا". فالتاريخ ليس فقط سجل الماضي وإنما أيضا مصدر إلهام للمستقبل.

خامسا : ثقافته واعتزازه بتاريخ الحزائر :

كان واسع الثقافة ى حيث كان يكتب ويحاضر بخمس لغات هي: العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والسويدية، وكان أحد كتبه باللغة الألمانية ويحمل عنوان

ALGERIEN (الجزائر) وقد طبعه مكتب جامعة الدول العربية في بون عام 1957م.

ومن بين النقاط الفكرية التي خالف فيها مولود قاسم غيره، هو تاريخ الجزائر وبدايته، ففي الوقت الذي ذهب البعض إلى اعتبار استقلال البلاد بداية لقيام الجزائر، وقال آخرون إن الفتح الإسلامي أو وصول العرب إلى الجزائر هو بدايتها في تلك الأثناء، خرج مولود قاسم على الناس ببحث تاريخي أسماه «شخصية الجزائر الدولية قبل 1830»، عاد فيه إلى الأصول القديمة لهذه الأمة التإسلامي في الجزائر.

حرص مولود قاسم على برمجة جلسات حول التاريخ في كل ملتقيات الفكر الإسلامي التي أشرف عليها باعتباره وزيرا للشؤون الدينية. ويحظى الكلام عن التاريخ أحيانا أكبر قدر من الوقت المخصص للمحاور الأخرى. وكان يحاضر فيها أكبر المؤرخين الجزائريين والأجانب المعروفين آنذاك، أذكر منهم: أبو القاسم سعد الله، ويحي بوعزيز، والمهدي بوعبدلي (الجزائر)، وعثمان الكعاك (تونس)، وعبد الله العروي (المغرب)، ومحمد عبد الله عنان (مصر)، وشارل روبير آجرون وإيفان تورين (فرنسا).

في أبحاثه التاريخية، وصل مولود قاسم إلى عدد من أمجاد الأمة الجزائرية وكان منهم الملك يوغرطة، ولشدة إعجابه به وبدوره اختار أن يكون هذا الملك ملف العدد الأول من مجلة الأصالة التي أصدرها حين كان وزيرا للشؤون الدينية، وقد سبب له هذا الملف بعض المتاعب كان بعضها بحسن نية وبعضها الآخر لحاجات في نفوس أصحابها، لقد اعتبر مولود قاسم أن يوغرطة هو واحد من أهم أبطال الجزائر الذين لا يمكن ان نتخلى عنهم واعتبر الإعتزاز بهم لا يناقض الانتماء إلى الإسلام. وفي كتابه »شخصية الجزائر«، قال نايت بلقاسم إن كفاح الأبطال السابقين هم مصدر فخر زمن الشدة. تأثر مولود قاسم بيوغرطة فاختار أن يمنح اسمه لإبنه البكر، ولما سُئل عن سبب الاختيار قال: »إنه أعظم ملك في تاريخ الجزائر . ومع هذا فقد كان عاشقا للغة العربية ، مدافعا عنها .

يقول نجله الدكتور يوغرطة مولود قاسم إن أباه كان محبا للغة العربية ومدافعا كبيرا عنها، وإنّه كان انعزل وحده في حزن عميق حين تم التراجع عن ” قانون التعريب” عام 1992،

سادسا : مؤلفاته :

-الجزائر (باللغة الألمانية) نشر الجامعة العربية في بون 1957م

-أنية وأصالة وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية 1975م

-أصالية أم إنفصالية وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية 1980 من مجلدين الأول

-ردود الفعل الأولية على غرة أول نوفمبر دار البعث بقسنطينة 1983 254 صفحة

-شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 دار البعث بقسنطينة 1985م

كما أشرف على إصدار مجلة “الأصالة”-

توفي مولود بلقاسم نايت بلقاسم يوم 27 أوت 1992 بالجزائر العاصمة ودُفن بمقبرة العالية.

1. - الفضيل الورتلاني : الجزائر الثائرة ، دار الهدى للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزاائر ، 2009 ، ص : 45. [↑](#footnote-ref-1)